الممارسة الآثنوجرافية وأخلاقيات البحث الميداني
(مقاربة في آليات الاشتغال المنهجي)

أ.م.د. حسين فاضل سلمان
جامعة بغداد - كلية الآداب

ملخص:
إن مسألة الممارسة الأثنوغرافية ترتبط ارتباطاً وشيجاً بمتصل من النسبية في صدق المعلومة ومراعاة أخلاقيات البحث بحسب الموضوع، وهي أي النسبية الثقافية تنشط في مواضع معينة وتضعف في مواضع أخرى، أي بحسب حساسية ونوعية العملية الاجتماعية، وكذلك بحسب قوة الأدوات والمنهج الذي يسيرها، وتدريبات الباحث والهدف من البحث، ولتحقيق الموضوعية يتوجب على الباحث أن يضع نفسه في السياق الأخلاقي والاجتماعي للثقافة وأن يتدرب على استدماج المعلومة أو ما يعرف بالاستغراق أو الانفصال، إذ تعتمد الممارسة الأثنوغرافية على أن تكون غريباً عن المجتمع وغريباً عن ثقافتك في نفس الوقت، وذلك لتحقيق الموضوعية والمحافظة قدر المستطاع على المسافة الأخلاقية لمجتمع البحث.

Abstract:
The issue of ethnographic practice is linked to and evoked by the relativity of information relativity and the ethics of research by subject. Cultural relativism is active in certain places and is weakened elsewhere, depending on the sensitivity and quality of the social process, as well as on the strength of the tools and the methodology it operates. From research, to achieve objectivity, the researcher must put himself in the moral and social context of culture and practice the integration of information or what

order to achieve objectivity and maintain as much as possible the moral distance of the research community.

is known as indulgence or separation, as ethnographic practice depends on being a stranger to society and alien to your culture in the same Time, in

أولا: سياق البحث النظري:

أشار العالم الأنثروبولوجي مارك أوجيه إلى أن ميدان العلوم الاجتماعية يسمح "بأن نشك في وجود صلة دقيقة ولكنها مباشرة تربط بين التاريخ السياقي والعلوم التي تطمح إلى تحليله، وإن الأنثروبولوجي معني بمضاعفة الزمن والتاريخ، ومن دون شك هو كما العلماء الآخرين كان دائماً مجبراً على أن يقرن بين تاريخ اختصاصه والتاريخ بلا زيادة تاريخ متحرك ومتسارع، فمجرد حضور الأنثروبولوجي في الميدان كان لوحده يمثل دلالة له[١]، اكونه مجبراً أيضاً على أن يقرن بين تاريخ اختصاصه وبين التاريخ الاجتماعي للميدان وزمن الممارسة الاثنوجرافية.

وتأسيسا على هذا النص، فإن أغلب التخصصات في العلوم الاجتماعية من فلسفة وسوسيولوجيا وعلم النفس امتازت بوجود مجتمعات انتجت تاريخ علمها من خلال طبيعة السياقات الاجتماعية والثقافية لهذه المجتمعات، فتاريخ هذه المجتمعات هو تاريخ مدوّن، بينما نلاحظ أنّ الأنثروبولوجيا قد دخلت في إشكالية الاغتراب المعرفي والميداني، أي أن الأنثروبولوجي عانى من فقدان تاريخ المجتمع المدروس وعمد إلى تشكيل تاريخ المجتمع تخمينيا ومن ثم بناء تاريخ معرفي لعلم الأنثروبولوجيا، ما أدى إلى وجود إشكالية في عملية بناء الممارسات المنهجية وضبطها من كل آراء واحكام مسبقة وأخلاقيات تتعارض مع ثقافة المجتمع، وأيضاً عمد الأنثروبولوجيون إلى بلورة هوية تخصصهم بالإستناد إلى التجريدات النظرية التي استنتجوها من ميدانهم الذي حددته المجتمعات البسيطة.

وقد ولّدت التوجهات المعرفية أنثروبولوجيا في تاريخ المجتمع المبحوث وزمن الممارسة البحثية الفعلية في المجتمع أساليب بحث، كالإثنولوجيا، التي عرفت بمنهجية التاريخ الظنّي والذي تطور حديثاً إلى منهجية التاريخ الشفاهي، ومن جانب آخر، نجد ان الأنثروبولوجيين اعتمدوا على التراكمات الاثنوجرافية لبناء وترصين قواعد وأخلاقيات الممارسة الوصفية ، وبلورة تاريخ علمهم

وايجاد تصورات نظرية ومنهجية لترصين هوية الأنثروبولوجيا.

والمشكلة الأكبر، برأينا، أن علم الأنثروبولوجيا كان يمارس عمله في الميدان بين مجتمع موجود ضمن المجتمعات الحديثة غير أنه يصنف مجتمعاً تاريخياً، وهذا بدوره، له أثر في عملية تأسيس التوجهات الأنثروبولوجية.

وعليه، فإن موضوعة بحثنا تتجسد من خلال المقاربة النظرية والعملية بين طرائق الممارسة المنهجية الاثنوجرافية وأخلاقيات البحث الميداني من خلال فهم العلاقة بين الباحث وميدان بحثه، والمبحوث وتصوراته عن ثقافته وعن ممارسات الباحث المراقب له، فمعظم المنهجيات الأنثروبولوجية تبلورت من خلال الممارسة الحقلية، والإشكالية التي تبرز هوية هذا البحث هي مسألة التحيز وعدم ضبط المسافة المنهجية بين شخص الباحث وتوجهاته النظرية، وبين المبحوث وتصوراته عن ثقافته في الواقع المعاش . وإن هذه المشكلة ولّدت العديد من التوجهات النظرية والطرائق البحثية التي تركز على مسألة صدق المعلومة وأحقية المبحوث في تفسيرها، والخصوصية الثقافية وأخلاقيات البحث.

إن طبيعة الأثنوجرافيا الكلاسيكية والتحولات والاختلافات بين المدارس المتنوعة في هذا الاتجاه، هي ما تدفعنا إلى دراسة الاثنوجرافيا وتحولاتها بوصفها أداة منهجية لتكوين مقاربة نستشف منها تأثير النصوص التأسيسية وانعكاسها في التوجهات الاثنوجرافية الحديثة، وهي في الغالب قائمة على سؤال منهجي يتعلق بحقل الدراسة، وهو: **(ما دور الميدان في تأسيس المنهج الاثنوجرافي الكيفي، وما المشتركات الاثنوجرافية التي انعكست على الممارسة البحثية وأدواتها الأنثروبولوجية وعوامل ضبطها، وما هي طبيعة الإشكالية بين ثقافة الباحث ومجتمع الدراسة؟!، وما الكيفية التى تمكن من خلالها الباحثون من بلورة منهجية أداتية تتوافق مع أخلاقيات البحث الميداني**

وعلى أساس التساؤلات السابقة يمكن لنا أن نبرز هدف البحث وأهميته من خلال بلورة مقاربة أنثروبولوجية للكيفية التي تشكلت بها الممارسة الاثنوجرافية ، بالتوازي والتقابل مع المسافات البحثية لاخلاقيات البحث الميداني.

ثانيا: مفاهيم البحث.

يوجد العديد من التعريفات الخاصة بمعنى الممارسة الاثنوجرافية وهي في الاجمال تتمحور حول الاشتغال الميداني، أي نزول الباحث الانثروبولوجي الى الميدان وممارسة الوصف والتدوين بواسطة، الملاحظة والمعايشة والاخباري والمقابلة، وأن أهم صفة للمارسة الاثنوجرافية هي الشمولية والاحاطة بالظاهرة، والاستمرارية في

المعايشة لترسيخ تقبل أفراد المجتمع للباحث وبناء الثقة.

وتشمل الاثنوجرافية العديد من التطبيقات الميدانية الاخرى، ولكنها في الحد الادنى كانت تعني دائما محاولة فهم عالم حياة أخرى باستخدام الذات كأداة للمعرفة، هذة الفكرة مشتركة بين العديد من التناولات الكيفية ، ولكنها تأخذ شكلا أقوى في البحث الاثنوجرافية من خلال ممارسة العمل الميداني..... وتصف الانثروبولوجية روث بيهار الممارسة الميدانية بأنها مفارقة عميقة في المهمة الاجتماعية الثقافية، تتطلب من المرء أن يحصل على الرأي العام الخاص بالاهالي المحليين دون أن يصبح فعلا محلياً[٢].

أن الاحتكاك بملكية أفراد المجتمع الثقافية والاجتماعية من خلال مزاولة العمل الميداني، يفرض على الاثنوجرافي الدخول في دوامة التواصل الحياتي دون تجاوز لثقافة المجتمع وبناء حدود وقواعد لأخلاقيات البحث. وبصورة أخرى يمكن توضيح معايير أخلاقيات البحث، بوصفها عملية بناء الثقة عن طريق تأمين حقوق وأهتمامات وحساسيات الاشخاص المبحوثين، والتفكير بالانعكاسات المستقبلية للمعلومات المنشورة، وكذلك توضيح نتائج البحث للمجتمع المدروس[٣]. والمهم هنا هو التأكيد على أن الرابط بين الممارسة الاثنوجرافية وقواعد البحث الاخلاقية جرى تصنيفة في سياق مفهوم الموضوعية وضبط الانحياز.

تنطوي الموضوعية ومشتقاتها: ك(الموضوعي، موضوعيا، النزعة الموضوعية)، على ما يبدو تاريخا رائقا، وهناك إجماع واسع على أن مفردة الموضوعية تشكل مرادفا لألفاظ مثل الحيادية، وعدم الانحياز، والتجرد، فالمراقب الموضوعي يستطيع أن يقدم رواية موثوقا بها عن الأحداث على وجه التحديد لأنه لا مصلحة له في نتيجتها، ويستطيع أن يكوّن رأيا ويطلق أحكاما بصرف النظر عما ستسفر عنه النتائج، ومن الواضح أننا نقرر التوافق بشأن هوية المراقب الموضوعي وإن كنا نختلف في العادة إذا ما كان هذا الشخص أو ذاك يمكن أن ينفع فعلا كمراقب موضوعي في أي حالة بذاتها[٤].

وإذا كانت مشكلة الموضوعية قد واجهت العديد من الباحثين الأنثروبولوجيين ومنهم ايفانز بريتشارد في اعتبار الدراسة الأنثروبولوجية أقرب إلى الفن منها إلى العلم، فإنها واجهت المنادين باستعمال مناهج البحث في العلوم الطبيعية في مجال دراسة الظواهر الإنسانية بصورة أكثر الحاحاً... ولاسيما في توجهات البحث السوسيولوجي. وأصبحت فكرة الموضوعية احدى المحاور الرئيسة للمناقشات العديدة بين العلماء وربط هذة المناقشات بأخلاقيات

البحث. وحتى وقت قريب، كان الكثير منهم يعدّون أن التمييز الذي بدأه ماكس فيبر بين الوقائع والقيم مسألة مسلمٌ بها، وإن استعمال المنهج العلمي في الدراسة كفيل بتحقيق الموضوعية في البحث الاجتماعي، والتغلب على المشكلات الناجمة عن اختلاف طبيعة موضوعاتها عن موضوعات العلوم الطبيعية، لاسيما بعد أن وُضعت الضوابط الاجرائية التي تحمي البحث من التأثر بالخصائص الذاتية للبحث[٥].

إن عملية المراجعات النقدية على صعيد توجهات البحث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي أنتجت العديد من المفاهيم النظرية والمنهجية باختلاف ميدان الدراسة ومتبنياتها النظرية ومنها الموضوعية والمعيارية المنهجية والقيمية والتجرد، أذ تعد هذة المفاهيم قواعد عمل لاخلاقيات البحث الميداني، ومعظم هذه المفاهيم أُنتجت في سياقات تخص التوجهات النظرية وطرائق البحث، والملاحظ أن هذه الاصطلاحات قد احتوت مفاهيماً تختلف باختلاف الموضوع والتخصص.

فالموضوعية العلمية موقف وحكم، ولا يمكن أن تكون امتناعاً عن اتخاذ موقف أو توقفاً عن إصدار حكم، بل تدل لفظة (الموضوعية) على محتواها دلالة مباشرة، فالحكم الموضوعي حكم التزم بالموضوع المحكوم عليه، وهو يعني تقديراً لمدى قربه من أصله ومادته (أي الموضوع)، وهذا التقدير لمدى يمتد على محور يجمع في علاقة وثيقة بين الذات (الباحث الصادر عنه الحكم) وبين محتوى حكمه (أي موضوع الدراسة)[٦].

إن ثنائية الموضوع والباحث تحيلنا إلى الجانب الآخر من الموضوعية وهي عملية ضبط الانحياز في أثناء الممارسة البحثية أي الموضوعية في الممارسة البحثية وهو الجانب الثاني الخاص بأخلاقيات البحث، الذي يقابل الموضوعية النظرية والافتراضية. فالموضوعية هي إحدى مبادئ البحث التي تنص على استبعاد الميل الشخصي للباحث في سيرورة البحث وتصميمه، وترتكز الموضوعية على الاعتقاد بضرورة الفصل بين الوقائع والقيم، وضرورة تركيز البحث على ما هو واقع لا على ما يجب ان يكون، فالموضوعية تعكس حيادية القيم[٧]، أي أن استبعاد الميل الشخصي للباحث يرتبط ارتباطاً كلياً بمفهوم ضبط الانحياز، إذ يشغل هذا الضبط المسافة بين قيم الباحث الثقافية الخاصة به وبين المنظومة الثقافية الملاحظة للمبحوثين، وهي الحدود التي يتمحور حولها ضبط الممارسة البحثية.

وتأسيساً على هذا التعريف، يتوجب على الباحث التفريق بين الدهشة المنسقة وانطباعاته الخاصة ومحاولاته التفسيرية الأوّلية وبين تفسيرات الآخرين، وأن يسأل

دونما توقف عن ما توجهاته الخاصة، وعليه أن يضع نفسه في موضع التعلم إذا ما وجد نفسه في مكان أقل ألفة، وأن يمتنع عن الصاق أفكار جاهزة على ملاحظاته الأفكار ذات العلاقة بثقافته الخاصة مع الاحتفاظ بمسافة ما بين الاستغراق بالبحث والانفصال عنه(٨).

إذ تعدّ الملاحظة بالمشاركة قائمة على فكرتين تجسدان ماهية ضبط الانحياز على وفق طرفين أحدهما يمثل الاندماج في المشاركة، وثانيهما يمثل التركيز على الملاحظة، والمهم هنا أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة وبين الملاحظة الخالصة يمثل التقابل بين موقفي الاستغراق Involvement والانفصال Detachment الذين يشار إليهما في الدراسة الميدانية الأنثروبولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك(٩).

إن ما سبق يبرز لنا أهم عوامل ضبط الانحياز والتي ولّدتها الممارسات المنهجية، إذ ترتبط هذه الممارسات بمستويات ثلاثة من تصنيفات الموضوعية، وضبط الانحياز هي: الذاتية، والقيمية، والايديولوجية(١٠):

١. **الذاتية:** تقترن الصعوبة المنهجية المتعلقة بذاتية الباحث وصلته بموضوع بحثة بالمشكلة الأبستمولوجية التقليدية بصدد استقلال موضوع الدراسة وخارجيته بالنسبة للذات العارفة... غير أن هذه المشكلة لا تستوقف الباحث في العلوم الطبيعية قبل المضي في بحثه لكون التجربة مبنية على قوانين محددة. أما في العلوم الاجتماعية، فينبغي أن نميز بين الداخل والخارج فيما يأتيه الإنسان من أفعال، وحينئذ تنشأ الصعوبة، فالبواعث والميول والأهداف ليست من الأمور التي يمكن أن تفض المعاينة الحسية مغاليقها. والسلوك الخارجي الظاهر وهو سلوك هادف محصلة لهذه التفاعلات الذاتية الباطنية، ولا يمكننا أن نلم بها إلا بتوسط من خبرتنا الذاتية، وفي الحالين لا يؤتى فصل الذات أو عزلها عن الموضوع نتائجه المنهجية الدقيقة التي يمكن أن نقارنها بنتائج العلوم الطبيعية.

٢. **القيمية:** لم يعد من اليسير الزعم بأن الملاحظة وحدها من دون تصورات مسبقة يمكن لها أن تنتظم الوقائع من تلقاء ذاتها في نسق يفترض انه قائم وموجود سلفاً، وليس علينا سوى اكتشافه، فمن دون أن نطرح أسئلة لن نتلقى اجابات، بل إن الاجابات نفسها قد تسبق على نحو ما تصورها في صوغنا وطرحنا للأسئلة، فهي اختيارات ونتاجات لتقويمات الباحث، ومن دون تقويمات لن يكون للباحث اهتمامات ولا معنى، ولا إحساس بالإناطة أو الدلالة

المتعلقة بالمعطيات، ومن ثم لا يكون لدينا موضوع.

٣. لئن احتلت القيمية موقعا وسطاً بين ذاتية الباحث بوصفه فرداً وشخصية مستقلة، وبين وجوده بمواقف واتجاهات الجماعات التي ينتمي إليها بكونه عضوا، فإن **الايديولوجية** تقع على الطرف الأقصى من متصل (الفرد – الجماعة)، إذ تنطوي على منظومة ثقافية كاملة مستوعبة من الآراء والمعايير والمواقف التي تعكس وتعبر عن مصلحة الجماعة... فما دامت النظم الاجتماعية ومتراتباتها الثقافية ذاتية التغير، فإن الجهاز الفكري المتطلب لفهمها لابد أن يعتوره التغير هو أيضاً.

يلاحظ على التوجهات السابقة أن تعريف الموضوعية وتصنيف مستوياتها يؤشر حجم المشكلة الخاصة بفلسفة التناول النظري وطرائق الباحث المنهجية لجمع المعلومات وتصنيفها، وأشكال البحوث واتجاهاتها، وقد انقسم الباحثون إلى اتجاهات مؤيدة للموضوعية ومشككة بها، كما انقسمت هذه القضية إلى اتجاهين فكريين متناقضين: يسمى الاتجاه الأوّل **الاتجاه حيادي القيمة** ويسمى الاتجاه الثاني **الاتجاه المعياري،** يمثل الاتجاه الأوّل موقف الباحثين الكميين، اما الثاني فهو موقف الباحثين النوعين (الكيفيين) وسواهم[١١]، الاتجاه الذي يتبنى حياديي القيمة يعكس فكرة حيادية القيم ضرورة قيام الباحثين بخفض آثار تحيزهم وميلهم إلى الحد الأدنى، لذلك ينظر إلى الباحثين الاجتماعيين بوصفهم فنيين أو مستشارين وليس مصلحين، وبشكل عام تتسم الموضوعية تحت هذا الاتجاه بدراسة الواقع وليس ما ينبغي أن يكون، واستبعاد انطباعاتهم الشخصية وترك اتخاذ القرارات لأصحاب السياسة، أما الاتجاه المعياري فإن أصحابه النوعيين يؤكدون أن الموضوعية مسألة نسبية وأن العلم الاجتماعي علم معياري يهدف إلى دراسة ما ينبغي أن يكون وليس ما هو كائن، وأن التدخل الذاتي مهم ولا يمكن تحييده وعزله نهائيا وإدعاء الحياد[١٢].

وعلى أساس الاتجاهين السابقين فإن الموضوعية تنقسم إلى المنطق الانطولوجي الذي يتصل بالمحتوى العياني لعناصر النظرية العلمية، وثانيهما المنطق الميثودولوجي الذي يتعلق بالمنحى المنهجي في دراسة موضوعات البحث، فبينما يتقدم المستوى الأوّل بالإجابة عن السؤال: ماذا ندرس؟ يتقدم المستوى الثاني بالإجابة عن السؤال: كيف ندرس؟[١٣].

الاثنوجرافيا.. والممارسة الميدانية:

إن التحولات التي طرأت على مناهج البحث الأنثروبولوجي، وبشكل تراكمي، في سياقات

زمانية ومكانية مختلفة، قد ولدت أطراً منهجية تحمل في طياتها سمات الثقافة المدروسة وإشكالها الاجتماعية، إذ تشكل البداية المنهجية للأنثروبولوجيين بما يعرف بـ**(استكشاف الاخر)** أي قراءة الواقع أو المجتمع وصناعة آليات عمل منهجية من روح الثقافة المحلية، وهذا ما عرف أنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات البسيطة **(البدائية)**، فإذا ما استثنينا توجهات الرحّالة والمبشرين والتوجّهات الاستعمارية، فإننا نبدأ مع كل من برنسلاف مالينوفسكي وفرانز بواس في فهم عملية التطور المنهجي وبناء قواعده المعرفية وعوامل الضبط الميداني.

وقبل أن نوضح المراحل التي مرت بها تحولات المنهج الأنثروبولوجي، نود الإشارة إلى ان المرحلة الاستثنائية السابقة قد تم استثمارها معرفياً من التوجهات السوسيولوجية الفرنسية والبريطانية، وهي التي تتجلى في الوقت الحاضر تحت عنوان المدرسة الأنثروبولوجية الاجتماعية التي انبثقت عنها العديد من التوجهات الأنثروبولوجية في شتى انحاء العالم، وجلها تأطر بمرجعية ذات بعد تطبيقي تنموي يؤشر نمطاً استعمارياً.

يرجع تاريخ مولد منهجية الاثنوجرافيا إلى المدة بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد تطورت هذه المنهجية داخلياً لتصبح اثنولوجيا، وهو فرع من المعرفة الأنثروبولوجية التي كانت الصيغة المادية البايولوجية تتحكم فيه، وكانت الاثنولوجيا تهتم أكثر ما تهتم بدراسة البشر من خلال مقارنة الأشياء المادية بينهم وثقافاتهم وتصنيف ملامحهم وصفاتهم البارزة، وقبل ظهور الاثنوجرافيا لم يجمع علماء الاثنولوجيا المعلومات من خلال الملاحظة المستمرة، وبدلاً من ذلك قاموا بدراسة وفحص علم الاحصاء، وسجلات ومحفوظات الدوائر والبعثات الحكومية ومراكز التوثيق، وروايات الرحلات، والسلع الوطنية[١٤].

إن المحور الأساس للمنهج الأنثروبولوجي يتكرس بالآلية الاثنوجرافية التي تعمل على وفق اتجاهين مرسومين بدقة، أوّلهما: **القدرات الاثنوجرافية** (المعرفية والثقافية) التي يحملها الباحث، وثانيهما: **معطيات الموصوف وسياقاته الاجتماعية والثقافية**. وعلى أساس هذين الاتجاهين تشكلت مناهج البحث الأنثروبولوجي وقواعد الممارسة وعوامل الضبط الاخلاقي فيها.

فمالينوفسكي يؤكد مبدأ **(المعايشة)** الآنية لبناء التاريخ والثقافة الحاضرة بالملاحظة التشاركية لثقافة المجتمع وأنماطها التي تكرس وتكشف التكرار الحياتي لتلك الثقافة، بينما ركز بواس على مبدأ **(النسبية الثقافية {لبناء التاريخ التتابعي الملاحظ من الآخر} وعدم التعميم حتى مع المعطيات التي يحصل عليها الباحث من الميدان)**، فلكل

منهما توجه مدرسي اتسم بموضوعات تعبر عن التوجهات المعرفية التنظيرية للمعطيات الميدانية التي تكونت عند مالينوفسكي باتجاهه نحو دراسة المجتمعات البسيطة في جزر التروبرياند على سبيل المثال، أما بواس، فقد رسم الخطوات المنهجية باتجاهه نحو الداخل الثقافي، أي دراسة الهنود الحمر في المجتمع الاميركي.

وإن جوهر مشروع مالينوفسكي انبنى على استيعاب (وجهة نظر) الآخر وعلاقته بالحياة، ولتحقيق استيعاب رؤيته لعالمه وما يتطلب بحسب الانثروبولجي طلال اسد عدم تمكين المرء لذاته وبشكل مقصود لذاته في أثناء حالة قيامه بالدراسة الأنثروبولوجية الميدانية. ويدخل الأنثروبولوجي الذي يقوم ببحث ميداني في صراع خالد بأن لا يجيش أو يستخدم رأس ماله الإتصالي والاجتماعي خارج سياق المجموعة المدروسة داخل المجتمع المحلي، وإن تلك هي المصادر الاجتماعية التي يمكن أن تشكل أساس المسأهمة المالينوفسكية، ولقد كان ذلك هدف الأنثروبولوجيا البريطانية والمهمة الدائمة للبحث الميداني، لهذا هي محاولة تصحيح لا نقطية العدسة الأنثروبولوجية[١٥].

وقد اتفق كل من مالينوفسكي وبواس على أن الاثنوجرافيين يستعملون الحواس الخمسة لمعرفة الاشياء: النظر، السمع، الشم، التذوق، واللمس، لكن هذه الحواس لا تكتسب المعرفة بشكل منفصل، أي لا تكتسبها أي حاسة منها لمصلحتها الخاصة، والأحرى، فإنه في اثناء عملية الممارسة الاثنوجرافية وجمع المعلومات والمعارف، فإن هذه الحواس تتفاعل مع بعضها البعض بشكل مستمر، ومع ذلك ففي هذا التفاعل قد يحدث ان تقوم حاسة منها بوصفها محوراً أو مرتكزاً للحواس الأخرى... وفي منهجية الاثنوجرافيا تكون الملاحظة هي اسلوب المعرفة أو الادراك المحوري، وما يميز الاثنوجرافيا عن غيرها من مناهج البحث هو دور الفاعل الرئيس الذي يقوم بالملاحظة[١٦]. وهذا يلزمنا أن نوضح أن توجهات المنهج الأنثروبولوجي بنيت على أساس اجتماعي – ثقافي من دون تأطيرات نظرية مسبقة، لذا عمد الباحثون الأنثروبولوجيون إلى تحويل جميع المعطيات أثنوجرافياً إلى تجريدات نظرية يستعين بها الباحث لصناعة نماذج إرشادية منهجية ذات طبيعة تراكمية، والأهم في هذا الجهد – من وجهة نظرنا – هو أن الأنثروبولوجيين دائما ما يفكرون بقوالب منهجية متغيرة وبأدوات عمل مفتوحة على ضوء الاحتمالات الميدانية التي يجدها الباحث، وهذا بدوره قد ترك السياق مفتوحاً بين ذاتية الباحث المعرفية والشخصية، أي أن مسألة الانحياز لم تجد عوامل رادعة لها كون الباحث في موقف الخيارات المتعددة بحسب المواقف المتغيرة، وغالبا ما يأتي

ابدال التوجه النظري بآخر على وفق غايات ورغبات الباحث في اثناء الممارسة الميدانية، وفي ذات السياق نجد أن الباحث يركز أثناء الممارسة على حقيقة أجتماعية دون أخرى ويجعلها محور أهتمامة الميداني .

إن تأكيد فقدان الأنثروبولوجيا مصداقيتها والرغبة في تعويض صوت الأنثروبولوجي بصوت ابن المنطقة المدروسة لا يكفي إذا لاستبعاد مسألة الاختلاف والتباين التي تتبني عليها علاقات المعرفة ومسألة الاطار المرجعي الذي ينبني عليه كل خطاب معرفي وحياتي، فإن تحقيق التناظر داخل الخطاب الأنثروبولوجي يكمن في الأساس في ممارسة انعكاسية لا تكون من قبل الأنثروبولوجي نوعا من التمركز على الذات ولا شكلا من أشكال البوح والمناجاة، ولكن تكون إدراكاً من الباحث لذاتيته الخاصة عنصراً أساسياً في علاقته مع الآخر (الموضوع) كتلك العلاقة التي يطمح إلى بنائها على اكبر قدر من الموضوعية وعندئذ يصبح غير مهم أن يكون الباحث الأنثروبولوجي منتميا أو غير منتم إلى الثقافة التي يدرس[١٧].

بصورة أخرى، لكي نفهم سلوكيات الافراد داخل الثقافة، لابد من أن يكون أطارنى المرجعي مرده إلى المبادئ والقيم السائدة في نفس مجتمع الدراسة، فإذا ما أريد فهم ظاهرة ثقافية من مبدأ الحكم عليها، لزم علينا أن ننظر إلى هذة الظاهرة في اطارها الثقافي المتكامل وفي حدود النسق الاخلاقي القيمي لهذة الثقافة، أذ تبرز هذة المقولة الموقف الاخلاقي للمارسة الاثنوجرافية، أذ يتوجب علينا أن نقف موقف الحياد حيال الثقافات الأخرى بعيدين عن التعصب والسير وراء الأهواء الذاتية أو الاعتداد بالجماعة التي ننتمي أليها... والابتعاد عن ابداء الاستياء أو التقزز تجاه بعض العادات والتقاليد الخاصة بمجتمع الدراسة[١٨].

ولغرض بيان التناظر الانعكاسي للخطاب الأنثروبولوجي، وما نتج عنه من تنظيرات أنثروبولوجية وتطوير في آليات الممارسة المنهجية، يتوجب علينا تفكيك النقاط المحورية الاتية، وأوّلهما: تخص مجالات البحث الحقلي (المكاني، الزماني، البشري)، وثانيهما تتعلق بأزمنة العمل الأنثروبولوجي (الماضي "التاريخ"، الحاضر "الآني"، المستقبل "التنبؤ")، فلكل نقطة منهما سجال معرفي أسس توجهات مدرسية ذات عناصر معرفية انعكست على طبيعة هذه المناهج، وهو ما يعرف في الأنثروبولوجيا بالاتجاه البريطاني، والاتجاه الاميركي، والاتجاه الفرنسي.

إن مفردة (حقل) التي تشير في وقت واحد إلى مكان وإلى موضوع بحث قد صارت الكلمة المفتاح في الوسط الأنثروبولوجي، إذ تقوم فعالية الاستقصاء الحقلي على بحث واع وفاعل بقدر ما تقوم على التعلم العفوي،

ولا يمكن تعلم فن الحقل من الكتب... فإن هذه الثقافة الغريبة ستعمل على إعطائنا معلومات وعلى تشكيل ثقافتنا أكثر مما تقدر ذاكرتنا على أن تعطينا اياه لنتفكر فيه، هذا ما نطلق عليه اسم المعرفة عن طريق المؤالفة أو بالتشبع، إن التآلف البطيء والصبور مع الميدان لا يجعل الأنثروبولوجي يتعامل بالكلية مع تنوع الظواهر أو أن ينقاد لها، وإنه يحسن التمييز بين المعلومة وبين الضجيج المحيط ، إن اختبار الموضوعية وضبط الانحياز كما يقول سيجموند فرويد: اختبار الواقع الذي يتيح عدم الاستسلام لإبداعات تحكمية وعدم اسقاط ما يريد الباحث اسقاطه على الواقع الاجتماعي، وعدم الركون إلى المصلحة الذاتية أو الاستماع بالكلية لمصدري المعلومات الذين يحبذ العمل معهم، على الباحث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي أن يبذل جهداً توصلا إلى الموضوعية أن يقاوم ضد نزعتين متباينتين: الأوّلى: أن يترك لعاداته قوة تنظيمها الحر الاعتيادي من جهة التقليل من أهمية الانطباعات الآتية من الخارج، وذلك بجعلها تنساب من المقولات الجاهزة التي تشكل ارثه العقلي، أما الثانية: فتتمثل في تحديد رسالته كما لو كانت تجميعاً للاختلافات، بحيث يحول هذا التجمع كل معلومة خارجية إلى مجموعة الأصل كما لو كان ذلك إشارة إلى غرائبية باطنية، أما الخطر الآخر الذي يكمن في مثل هذه الحالة فهو المبالغة في التأويل... ويجب التمييز بين القاعدة (المنظومة الثقافية) بوصفها فرضية نظرية عند الباحث، وبين القاعدة بوصفها فرضية نظرية عند محدثيه، علماً أن القاعدة التي تحكم فعلاً السلوكيات الملاحظة قد تكون مختلفة عن تلك القاعدة عند الأوّل وعند الثاني، وعلى الاثنوجرافي أن يقاوم إغراء التعميم انطلاقاً من فرد واحد يقدّر بإرادته أنه الممثل للثقافة بكليتها[١٩].

إن مجالات البحث الميداني هي المساحة التي يعمل من خلالها الباحث الأنثروبولوجي، وهي حدود رسمتها ثقافة المجتمع وإشكاله الاجتماعية، إذ إن المجال المكاني هو المنبع الأساس الذي رسم طبيعة المنهج الكيفي، فالكيفية في الغالب تعمل في حدود الميدان الذي يختاره الباحث، وهو ما يمثل طبيعة المجتمعات صغيرة الحجم في مكانها، الا أنها كبيرة في طبيعة تفاعلاتها الثقافية المتداخلة، وبنظرة تتبعية لمنهج البحث الأنثروبولوجي بنسخته الكلاسيكية نجد أن المنهج الانتشاري والتطوري قد ركز على اماكن متعددة بحث من خلالها انتشار السمات الحضارية وعملية تطور البنى الانتاجية والقرابة، إذ تعد هذه المنهجية مشكلة بالنسبة للمجال المكاني الذي تسعى الأنثروبولوجيا إلى الاحاطة بحدوده، وما تلا هذه المنهجية في المدرسة الثقافية هو

تركيزها على المكان وتتبع مسألة النسبية الثقافية وبنيتها فيه. وهنا نجد أن مسألة ضبط الانحياز ترتبط تواشجيا مع أبعاد المكان، فبداية المنهج الأنثروبولوجي كانت تركز على الشمولية التي تجاوزت المكان بدراسات مقارنة للعديد من الثقافات وهنا تكمن المشكلة والسبب هو أختلاف المعايير الاخلاقية والقيمية للمجتمعات أو الجماعة مما يشظي مرجعية الممارسة الاثنوجرافية.

أما المجال الزماني، فقد انقسم إلى منظارين: اهتم الأوّل منهما بتحويل التاريخ الشفاهي للمجتمع المدروس إلى بناءات اجتماعية تمثل التاريخ القبلي والمعاش (الآني) لمجتمع الدراسة، أي أن الأنثروبولوجيين قد عمدوا إلى كتابة تاريخ المجتمعات البسيطة التي لا تمتلك تاريخاً مدوناً عن طريق الذاكرة والمنهجية الجيلية والتاريخ الشفاهي، وهو ما يعرف بـ**(الاثنولوجيا)**، والملاحظ أن التوجهات البريطانية اهتمت بالمسألة التزامنية في البحث **(Here & Now)** وهو ما يشكل المنظار الثاني، بينما اهتمت المدرسة الاميركية بالتعاقبية الزمنية للتاريخ الاجتماعي، فيما اعتمدت التوجهات الفرنسية كلا المنظورين، فضلاً عن اهتمامها بالبعد اللغوي (اللساني) للمعاش (الآني). والمجال الثالث في الدراسات الحقلية فيتمثل في البعد البشري الذي تعمل من خلاله التوصيفات الاثنوجرافية، وما يميز المجال البشري في الدراسات الكلاسيكية أنه قائم على ثنائية الباحث ومجتمع الدراسة، أما الميزة الأخرى فتتمثل في كون هذا المجتمع شبه مغلق لا توجد فيه مجالات بشرية أخرى طارئة، وهو في الغالب مجتمع محدد احصائياً، مما كرس الرؤية الأنثروبولوجية القائمة على أشكال بشرية منظمه ثقافياً ومتقاربة مكانياً (**Face to Face**) في مكان جغرافي محدد. وعندما انتقلت الأنثروبولوجيا بمنهجيتها الكلاسيكية إلى المدينة واجهت مجال بشري متشظي متشكل من جماعات مختلفة لغويا وثقافيا وذات حضور مكاني مؤقت ودائم، مما دفع الأنثروبولوجيا إلى الاعتماد على موضوعة محدد لتشكيل الجماعة مكانيا.

وقد شكلت المجالات السابقة، السمات الأوّلية لمنهج البحث الأنثروبولوجي القائم على المشاركة والتواصل اليومي والديمومة التفاعلية في الميدان، وكل هذا انصب في تأطير وبلورة توجهات الممارسة الاثنوجرافية في الدراسات الأنثروبولوجية.

وقد ولدت هذه المجالات رؤية تحولت لاحقاً إلى هوية تجسد طبيعة البحث الأنثروبولوجي والجدوى المعرفية والعملية له. فالماضي والحاضر والمستقبل هي النقاط التي تأسس من خلالها المنهج الأنثروبولوجي الذي يركز على الحقائق الملموسة والواقعية في دالتين للبحث هما (الماضي والحاضر) ثم تطورت فيما بعد إلى توجهات حديثة تدمج الجانب

التاريخي بالآني لتستخرج تطبيقات تنموية مستقبلية للمجتمعات التقليدية.

وتأسيساً على ما تقدم، يرتكز البحث الحالي على إجابة الإشكاليات المطروحة في أعلاه والمتمثلة بتسليط الضوء على دور عوامل الانحياز المنهجي وآليات ضبطه زمانيا ومكانيا في ميدان الدراسة، بل إن هذه العوامل تقودنا إلى فهم طبيعة التغيرات التي رافقت تطور وتبلور المنهجية الأنثروبولوجية، والمشكلات التي رافقتها بانتقالها من دراسة المجتمعات الصغيرة إلى دراسة المجتمعات الكبيرة والمعقدة ذات الثقافات المتباينة والمتداخلة، وهذا بدوره يلزم الباحث الأنثروبولوجي على تطوير أدوات البحث، بل وحتى آليات ومضامين المنهج بما يحقق أغراض الدراسة على الرغم من إن أغلب المسلّمات تؤكد أن الموضوعية أصبحت مسألة نسبية في البحث الأنثروبولوجي الذي اكتسب هويته بخطوات كيفية قائمة على مبدأ التزامن البحثي بين ثقافات متنوعة عنوانها (الباحث، وادراكاته العلمية) و(المبحوث وثقافته المعاشة).

ولأجل ذلك، فإن هذا البحث لا يعتمد على تساؤل جوهري أساس، لكون موضوع التحول والتغير المنهجي سمة أساسية من سمات العلم الذي يستجيب لتغير المعطيات، إذن، فإن الوصول إلى توصيف دقيق لماهية هذا التغير وطبيعة التبدل في المناهج تكمن في فهم المقاربة بين عوامل الضبط وطبيعة الانحيازات في المنهج من خلال تتبعنا لثلاث مراحل تكاملية ذات طبيعة عمد المشتغلون بها إلى جعل (الأثنوجرافيا) تنتقل من توجهات تأسيسية كلاسيكية ذات طبيعة تعتمد على شخصية الباحث في اصدار الاحكام وتفسير المعطيات، إلى منهجية اثنوجرافية سردية ذات طبيعة يشترك فيها الباحث والمبحوث في السياق المكاني والزماني واحد، أي أن هذه الثنائية تهدف إلى صناعة نص حياتي ثقافي يشترك فيه ويعيشه الباحث ويقيمه المبحوث بصورة متناوبة، وهذا ما يطلق عليه (الأثنوجرافيا الانعكاسية)، وصولا إلى استخلاص المناهج الحديثة من المناهج الكلاسيكية وطبيعة التبدلات التي طرأت عليها.

لقد اتبعت التوجهات الأنثروبولوجية في تعريفاتها للاثنوجرافيا سياسة التقابل بين المفاهيم ضمنياً ووصفياُ وثنائياً، إذ جاء تعريف الأثنوجرافيا بمعنى مزدوج، إذ استعمل مفهوم الاثنوجرافيا بمعنيين مختلفين، أوّلاً بمعنى الدراسة الميدانية وثانيا بمعنى الدراسة الاثنوجرافية (المونوجرافية)، والمونوجرافيا تترجم بالواحدية من MONO واحد أو واحدي، فضلا عن جرافي Graphi وتعني وصف أو دراسة، أي دراسة الموضوع الواحد أو المجتمع الواحد[٢٠].

ويتجسد المعنى الثاني للأثنوجرافيا بكونها "الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال مدة زمنية محددة. أما الاثنولوجيا فتهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوجرافية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تفسيرات بصدد شتى النظم الاجتماعية الإنسانية من جهة اصولها وتطورها وتنوعها. وبهذا، تشكل المادة الاثنوجرافية قاعدة أساسية لعمل الباحث الاثنولوجي، فالاثنوجرافيا والاثنولوجيا مرتبطتان إذن وتكمل الواحدة الأخرى"[٢١]، وهو ما يشكل البعد الثنائي للانثروبولوجيا لتي تهدف إلى الوصول لخلاصات نظرية لمجمل معطياتها المونوجرافية، وكذلك الاصرار على أن تكون فترة الدراسة لاتقل عن سنة، ويعتبر هذا الجانب من أهم قواعد الممارسة الاثنوجرافية لتأكيدة على رؤية كل المناسبات والطقوس والعمليات الاجتماعية على مدار السنة، وهومايعرف بالبنية الزمنية للدورة السنوية الاجتماعية الثقافية.

فإذا تجاوزنا مسألة صراع المفاهيم في إطار التوجهات الأنثروبولوجية المذكورة سابقا، فلابد من ذكر أن هذه المفاهيم المنهجية قد تحولت إلى تقسيمات عملية ونظرية تحوي كل منها نموذجاً تصنيفياً، ومع مرور الوقت أصبحت هذه المفاهيم هي الخطوات المكملة للبناء النظري الأنثروبولوجي، فالأثنوجرافيا بكونها آلية منهجية وصفية تهتم بالكيفية التي تعمل بها حواس الباحث وأدوات البحث الأنثروبولوجي، فيما أضحت الاثنولوجيا تشكل بعدا تنظيريا يعتمد على المقارنة والتحليل للمادة الاثنوجرافية المستحصل عليها في الدراسات الأنثروبولوجية بشتى توجهاتها.

فإذا كانت الاثنوجرافيا تفهم على أنها دراسة وصفية، والاثنولوجيا على أنها تحليل ومقارنة، فأين نحن من الأطروحات المتضاربة التي تحتمل نقدا كبيرا وجلها يتركز حول ما يعرف بـ(المنهج الاثنوجرافي) والنظرية الأنثروبولوجية، وهل أن الاثنوجرافيا قد وصلت إلى مستوى المنهج، أم أن هناك اختلافاً في توجهات المدراس الأنثروبولوجية؟!. وعلى أساس هذه الطروحات التي بقيت غير محددة المعالم بسبب أن المنهج الاثنوجرافي والتوجهات النظرية الساندة له بقيت تمارس في سياق شخصية الباحث إذ تسمح له ذاتيته بتغيير شكل الإناء الذي يحوي المعلومة بحسب الواقعة التي يشكل هو جزءا منها في مجتمع الدراسة، وهذا باعتقادنا هو السبب الأساس الذي تعاب عليه الأنثروبولوجيا بأنها لا تمتلك نظرية موحدة متكاملة الابعاد، وإنما تمتلك أتجاها نظريا منفتح يشكل المنهج رأس الحربة فيه.

بداية التأسيس، هي السبب الأساس في كل ما أشرنا اليه آنفاً، لكون الاثنوجرافيا جاء فهمها باختلاف التوجهات الفكرية التي أسّستها مدراسها (تأثير العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة على مخرجات البحث الاجتماعي بشتى صنوفه).

إن تعريف الاثنوجرافيا كان وما يزال موضع جدل وخلاف، فهو يشير بالنسبة للبعض إلى صيغة نموذج ملفي (وثائقي) يلتزم به المرء التزاماً كاملاً، وبالنسبة للبعض الآخر يرمز المصطلح إلى طريقة البحث التي يستعملها المرء بالشكل الملائم عندما يكون الوضع ملائما لذلك. فالأثنوجرافيا إذن، وقبل كونها انتاجاً، أي نصاً مكتوباً، هي تجربة أو عملية متواصلة، فهي تجربة الاشتراك في الحياة الاجتماعية لمجموعة ما، كطريقة تسمح بفهم كيفية تشكيلها كوحدة جامعة، وما يجعلها في الوقت نفسه فريدة من نوعها وقابلة لتوقعاتنا[٢٢].

ومن جانب أخر يصنف هذة الملف الوثائقي بوصفة بنك للمعلومات الاثنوجرافية، أذ تهدف البنوك إلى جمع معلومات عن سكان المجتمع، بحيث تفيد في تسهيل مهمة التحليل الاحصائى لاغراض التخطيط والبحث الاجتماعي، وليس من شك أن الحصول على هذة المعلومة الشاملة وحفظها وتسجيلها، والافادة منها يحقق تقدما في البحث الانثروبولوجي والسوسيولوجي، لكن ذلك بالطبع يتعارض مع خصوصية هذة المعلومات بالنسبة للافراد الذين نحصل منهم عليها، ولهذا يقترح بعض الباحثين بصدد هذة المعلومة أنة يجب أن يقتصر على المعلومات الموضوعية والتي تمثل أخلاقيات الثقافة الفعلية، وان نعطي الحق للافراد للاطلاع على المعلومات التي سيتم تسجيلها وحفظها، وأن نفرض قيودا على محددة على أستخدام هذة المعلومات والافادة منها، هكذا تقع على الباحث مسؤلية أخلاقية أثناء الممارسة وبعدها عند أعلان النتاج وتوثيقة[٢٣].

يسعى التحقيق الاثنوجرافي إلى توثيق وفهم العوالم اليومية للجماعات الاجتماعية والمجتمعات، وهو يهدف إلى القاء الضوء على تفاصيل وأهمية العمليات الاجتماعية، والشعائر، والتفاعلات وهي تحدث في الزمن المعاش، وله ملامح ملموسة تدور حول افكار الناس بوصفهم صانعي المعاني، وبشأن التأكيد على فهم كيف يفسر الناس عوالمهم، والحاجة إلى فهم عوالم الثقافة الخاصة التي يعيش فيها الناس. وعندما يقوم الاثنوجرافي بعمل ميداني يوظّف عدداً من المناهج لبناء روايات وصفية تشمل ملاحظات المشاركين والمقابلات وتحليل الوثائق والاشياء المادية[٢٤].

وهنا نؤكد أن مسألة الانحياز وضبطه لا ترتبط فقط بالباحث، وإنما تمتد لتشمل

المبحوثين وما يقدموه من أفكار أو ما يؤولونه من معاني حول حياتهم اليومية، والنقطة التي نستشفها هي أن المبحوثين في الميدان يحاولون أن يقدموا أسلوب حياتهم وأخلاقياتهم بمعنى مضخم أو مثالي ولا يتركون للعيب أو الخطأ أو غير المرغوب فيه مساحة فيما يقولونه للباحث كونهم لا يعون أنهم يقدمون صورة لمجتمعهم بل أنهم يعيشون حياة الشخص ومكانته الاجتماعية وما يجب أن تكون عليه، وبخلاف ذلك، فإن بعض الافراد الذي يقدمون صورة مستهجنة عن حياتهم اليومية من باب الرفض والاحباط وعدم الرضا والتهكم، وحتى في بعض الأحيان يأتي الانحياز بتقديم معلومات زائفة للباحث تعبيراً عن رفضهم لوجوده في الميدان. ومن أهم عوامل ضبط الانحياز في مثل هذه المواقف السابقة هي عدم التسليم والقبول بكل ما يقال أو ينقل من قبل المخبرين والافراد من مجتمع الدراسة، ونقل هذه المعلومات وفحصها وتمحيصها عبر أفراد آخرين في المجتمع، بل إن هذه النقطة دعت الأنثروبولوجي إلى توليد اليات اشتغال حديثة عرفت بتداوّلية النصوص المقالة وعرضها على مجاميع أخرى لفحص المعاني التي تتولد منها وإنشاء مقارنة بين ما قيل وما يقال وما يجب أن يكتب ويدوّن، وهذه النقطة قد أشار اليها الأنثروبولوجست ديل انكيلمان على وفق فرضيته **(لمن النص ولمن المقال)**.

إذن، الاثنوجرافيا هي آلية تطورت مع تطور الدراسات الأنثروبولوجية وانتقالها من الميادين صغيرة الحجم إلى المجتمعات المفتوحة، إذ ارتبطت الاثنوجرافيا بشخصية الباحثين وتأسست بتجارب ذات طابع معاش. والإشكالية أن هذه التأسيسات قد اختلفت بتناولها لماهية الاثنوجرافيا، فالمدرسة البريطانية تناولتها بوصفها آلية، والمدرسة الاميركية تناولتها بوصفها منهج، وإذا احتكمنا إلى تعريف المنهج بأنه "مجموعة القواعد العامة التي تحدد الإجراءات العملية والعمليات العقلية التي يتبعها العلماء للوصول إلى الحقيقة بالنسبة للظاهرة أو الثقافة التي يدرسونها، والأسلوب هو الطريقة التي يستعملها العالم في بحث ظاهرة ما، ولكل علم أساليبه الخاصة به والتي تتفق ونوعية الظاهرة التي يدرسها"[٢٥]، نجد أن الاثنوجرافيا هي آلية عمل الباحث الأنثروبولوجي في الميدان، والجامعة لحواسه، إذ تحتكم هذه الآلية إلى منهج يتبناه الباحث لكي يطبقه على مادته التي جمعها.

ويرتبط تعريف الاثنوجرافيا في الغالب، عملاً وتنظيراً، بشخصية الباحث الأنثروبولوجي في الميدان، وهذا الارتباط يتجسد من خلال مجموعة من تقنيات البحث الأنثروبولوجي، مثل الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة،

والاخباريين، فضلاً عن المستندات والوثائق التي يحصل عليها، وهذا هو المنظور الكلاسيكي لأدوات البحث الأنثروبولوجي، ومع تطور التوجهات الاثنوجرافية أعيد النظر في العلاقة بين شخص الباحث وطريقة أدائه الاثنوجرافي، ومجمل هذه الإشكالية يتركز في **الموضوعية** أو ما يعرف بمسألة الانحياز الذاتي والطابع المعرفي وكذلك السياق الاخلاقي للحاظنة المجتمعية.

وهذه النقطة هي المحور الأساس الذي أصبح مرتكزاً للنقد التجديدي وتوليد المنهجيات بما يتوافق مع تطور دراسات الأنثروبولوجيا والوعي بأهمية هذه الدراسات. ويمكن لنا أن نفهم العلاقة بين ذاتية الباحث وعمله الاثنوجرافي بأن أغلب الدراسات التأسيسية كانت تعتمد على منطق (دعه يعمل.. دعه يمر) لتتولد لدى الباحث قواعد عمل يصنفها نظرياً من خلال المعطيات التي استحصل عليها من الميدان، وهذا ما عمد إلى تصنيفه مالينوفسكي في دراسته الميدانية التي أسست للأثنوجرافيا.

وقبل الدخول في تناولنا لتصنيف مالينوفسكي، يتوجب علينا الاشارة إلى الدافع الأساس لديه في وضعه لأهم الخطوات والآليات التي يتوجب القيام بها واعتمادها في الدراسات الحقلية، إذ أنها في المجمل تعد انتقاداً لجميع ما سبقه من توجهات وخطوات تعلقت بعمل الرحالة والمستكشفين والمبشرين والعسكريين، وصولاً إلى البعثات الجامعية ومنها بعثة (مضايق توريس) التي ركزت الانتقادات التي تناولت هذه البعثة أن الباحثين فيها يجهلون اللغة المحلية، مع قصر مدة الدراسة التي لا تتيح تشكيل رؤية متكاملة وشاملة ومتعمقة للمجتمع المدروس، إلى جانب استعمال متخصصين في علم النفس ضمن ميدان بحث ثقافي اجتماعي من صلب عمل علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا.

إن انقطاع طرق المواصلات في اثناء الحرب العالمية الأوّلى اجبرت مالينوفسكي على الإقامة لمدة طويلة في جزر التروبرياند الواقعة على سواحل غينيا الجديدة، ما أتاح له تأسيس المنهجية الأنثروبولوجية التي تعتمد على مجموعة من العوامل التي لابد من توافرها للباحث الأنثروبولوجي، ويمكن إجمالها في المدة الكافية من الزمن، وتوطيد علاقات الصداقة مع الاهالي (بناء الثقة)، والتركيز على تعلم اللغة المحلية.

ويمكن بالاجمال أن نبني على شروط البحث الأنثروبولوجي القواعد الأساسية، الايجابية منها أو السلبية التي تعرضت إلى الانتقادات، أو ما يعرف بعوامل ضبط الانحياز وتقويمه، فعلى الأنثروبولوجي في حقل الدراسة ان يجد نفسه باستمرار طارحا جانبا مقولاته الخاصة، الا ان الاثنوجرافيا في بداية تأسيسها كانت تعتمد على الباحث

بوصفه المقوّم والكاتب والواصف للمُقال في تفاعلات الثقافة المدروسة. وهو الانتقاد الاوحد والأساس الذي تؤاخذ عليه الاثنوجرافيا الكلاسيكية، مع وجود بعض المحاولات التي تجاوزت هذه الإشكالية، وهذا ما اكده المؤسس لدراسة الحقل **Failed Study** فرانز بواس في دراساته للهنود على الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة الأميركية، إذ أكد بواس أهمية تحويل لغة الباحث، ولغة المبحوث إلى أداة ومعطيات ثقافية يتوجب التركيز عليها.

إن ثنائية اللغة عند بواس أهتمت بإبراز الزمن وتوضيحه بوصفه أداة أساسية يبني عليها الباحث ويقيّم من خلاله الاختلاف بينه وبين المبحوثين، وهذه المشكلة الرئيسة للحياد وضبط الممارسة.

وبهذا، نستشف أن المشتركات الأساسية للأثنوجرافيا الكلاسيكية تتمحور حول اللغة المنهجية، واللغة الحياتية للمجتمع الذي يُدرس، وهي النقطة نفسها التي جاءت منها الانتقادات الموجهة اليها.

إن كل ما سبق ذكره يمهد لنا الدخول إلى بيان مشكلات الاثنوجرافي في أثناء العمل، ومنها **حياد الشخصية Personal Equation**، إذ تناول الأنثروبولوجست نادل **Nadel** هذه المشكلة، فعندما يكون الباحث هو أداة الملاحظة، فإن ذلك يقتضي أن تكون شخصيته محايدة، لاسيما عندما يكون الإنسان هو موضوع تلك الملاحظة... بينما يؤكد **اوسكار لويس** أن الحل الامثل لتجاوز هذه الإشكالية هو التدريب الميداني والتعرف على الاخطاء التي حصلت في الماضي، وأن يكون الباحث واعيا ومدركا لتحيّزاته[٢٦].

وفي هذه الحال، كيف يتسنى لنا أن نتفحص هنا عامل الحيادية في الدراسات الأنثروبولوجية العراقية كمثال على ذلك، إذا ما علمنا أن أغلب الباحثين كانوا جزءا من مجتمع الدراسة، أي أحد افراد المجتمع؟، ومن خلال مراجعة العديد من الدراسات، نجد أن غياب هذا العامل ادى إلى اختزال الخيال الأنثروبولوجي أو المنهجي في شخصية الباحث، بمعنى أخر يدلي الانثروبولوجي المحلي بحقائق حول البناء الاجتماعي والاخلاقي لثقافتة وفق فهمة هو لها لامن منظور المجتمع الذي هو فرد فية، مع الابقاء على التوجهات الاثنوجرافية التقليدية، واغلب هذه الدراسات يصنف الاثنوجرافيا على أنها منهج، ويتبع الخطوات ذاتها للمدرسة الانجليزية بنسختها المصرية. إذ أن طبيعة تناول هذه المنهجية التي تعتمد على ثنائية الباحث والمبحوث من المجتمع نفسه لم تنتج سوى المعطيات والبديهيات الطبيعية بالنسبة للباحث، ولا نعتقد أن الباحث وصل إلى أن يجعل نفسه غريبا عن المجتمع لكي يلاحظ.

ويمكننا القول بشكل أوّلي تقريبي، إن الاثنوغرافيا هي الوصف المكتوب للتنظيم الاجتماعي والممارسات الاجتماعية والمصادر الرمزية والمادية والممارسات التفسيرية التي تميز مجموعة معينة من الناس، ويتم إنتاج هذا الوصف عادة بواسطة المشاركة المطولة والمباشرة في حياة وثقافة جالية ما، وله ميزتان قد تبدوان متناقضتين: الأولى أن يبتعد العالم عن ردات فعله الثقافية والمباشرة الخاصة ليتمكن من أن يكون موضوعيا نوعا ما، والثانية أن يميل إلى التعاطف أو دمج نفسه مع أعضاء المجموعة ليكون وجهة نظر من الداخل فيما يسميه الأنثروبولوجيون (الرؤية الامية Emic)[٢٧].

وفي إطار هذا السياق، يشير **هيرسكوفيتز** في دراساته بشأن التثاقف إلى انه يتوجب على مخبر الاثنوجرافيا أن يتمثّل العلاقة البينية للثقافات الحاضرة **(ثقافة الباحث الحياتية، وثقافة الباحث العلمية، وثقافة المبحوث)** وأن يربط بين التمثل وميدان الدراسة عن طريق أن يكون غريباً في المشهد.

ويقول هيرسكوفيتز إن: "الفرز أساسي لنجاح البحث الميداني وينطبق على الاشخاص كما ينطبق على السلوك الثقافي، تكون الشخصيات في الجماعة بالنسبة للاثنوجرافي الواصل حديثاً إلى ميدان عمله، مغمورة ثم يأخذ الافراد بالبروز فيما بعد، وتكون العادات التقليدية دون معنى عندما لا يستطيع تصور الهدف أو الغاية من الفعل الذي يلاحظه، ولكن تصبح ذات معنى فيما بعد عندما يصل الاثنوجرافي إلى درجة معينة من التآلف مع طرق حياة الجماعة"[٢٨].

أما العامل الآخر من عوامل ضبط الانحياز المنهجي، فهو ما يعرف بـ**(فريق البحث الجماعي Group field Parties)**[٢٩] الذي تظهر أهميته في حال أن يتكون من مجموعة باحثين متنوعي المرجعيات الثقافية، ومن شتى التخصصات المعرفية، إذ يجسدون منهجاً اثنوجرافياً يهتم بدراسة مجتمع محلي، فيتيح هذا العامل أن يلاحظ الباحث مرجعيات الباحث الآخر منهجياً، وأن تتم الملاحظة بالإجماع (التشابه والاختلاف) في المعطيات الميدانية.

إن التوازن بين أن يكون الإنسان من دون إحساس وتحوله إلى ساحر هو بساطة إدراك بأن الكتابة الاثنوجرافية تعتمد على فهم وجهات نظر عدة قد تتناقض أحيانا أو تتكامل، لا تشكل الاثنوجرافيا الناجحة من ثم منهجاً للكتابة، إذ يعتمد المراقب وجهة نظر واحدة إذا كانت بعيدة أو قريبة بل أسلوب يعتمد على إنشاء الباحث حواراً بين وجهات نظر وبين أصوات متنوعة، بما في ذلك تلك التي تعود إلى الناس الذين يدرسهم،

والاثنوجرافي نفسه وخياراته المنهجية والنظرية[٣٠].

إن من أهم وسائل ضبط الانحياز هو وجود حديث ووثائق تتعلق بالممارسات الحوارية التي تسمح للوصف التفصيلي بالوجود... فكما يوضح دنيس تيدلوك أن معظم ما نتعلمه في هذا المجال عائد إلى الحوار الحي بيننا وبين المحليين، وبين الأفراد المحليين بعضهم البعض، لا نرى إلا القليل من هذا الحوار في التقارير الاثنوجرافية، يربط نقد تيدلوك لما يسميه الأنثروبولوجيا القياسية واقتراحه استعمال أنثروبولوجيا حوارية بين اسهامات المناهج الأنثروبولوجية، لا تسعى الأنثروبولوجيا الحوارية إلى استبدال الحديث المحلي بما يرويه المراقب، إن كان في صيغة المتكلم أو في صيغة الغائب، كما تفعله الأنثروبولوجيا القياسية، بل تشجع الكلام المحلي مانحة القارئ بذلك مدخلاً مباشراً نحو تصورات اعضاء المجتمع[٣١].

والمهم على الباحث الأنثروبولوجي أن يستعمل العامية لكي يتجنب القيام بتفسيراته الشخصية... وعليه أن لا يعتمد على مخبر واحد، بل أن يفحص كل شيء بشكل كامل، عليه أن لا يعدّ آراء الافراد موضوعية بالنسبة للواقع الاجتماعي، بل ما يعكس مواقفهم واهتماماتهم[٣٢]. وهذا ما دعا جيرتز إلى تحديث المنهجية المعرفية الثقافية على وفق هذه النقطة الخاصة بضبط الانحياز، إذ طور المنهج المعرفي والاثنوجرافيا الكلاسيكية إلى ما عرف بالتأويلية ومن أهم أهداف المنهج التأويلي هو تثبيت ما يقال على وفق نصوص مكتوبة، أي تحويل الحياة اليومية المعاشة بصورها التقليدية غير المصنعة إلى نصوص مكتوبة تصنف في سياق القصة والحدث، وبذلك يأتي دور القياس لاستخلاص المعنى بعد الاثنوجرافيا الحوارية التي ولدت ما تم تثبيته وكتابته من قبل الباحث والمبحوث.

من جانب آخر، جاء تركيز الباحثين على المنهج والممارسة البحثية أكثر من التركيز على الأدوات والباحث، إذ يؤكد اوسكار لويس: أن هدف وقيمة استعمال منهج إعادة الدراسة ليس اثبات أي من الباحثين على صواب والآخر على خطأ، فالمشكلة ليست هي تحديد أخطاء الباحث لكن الهدف هو معرفة ماهي أنواع الأخطاء التي يتكرر حدوثها وبواسطة أي نوع من الناس، وتحت أي نوع من الظروف، ولذلك، فإن لويس يرى ضرورة وجود عدد كاف من الدراسات التي تستعمل منهج إعادة الدراسة حتى يمكن تطوير إجراءات الملاحظة التي قد تساعد في تقويم الدور الي تقوم بها حياد الشخصية سواء من ناحية الشخصية أو الايديولوجيا أو المتغيرات الثقافية والاخلاقية[٣٣].

إن مجالات التحيز في البحث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي يمكن إجمالها بصور متعددة، بدءا من اختيار موضوع البحث الذي قد يهدف فيه الباحث إلى الخروج ببيانات ومعطيات تلبي أهواءه وتجاهل موضوعات أخرى، إلى جانب التركيز على المصادر المؤيدة لرأي الباحث وتجاهل المصادر الأخرى، إلى جانب السعي إلى اثبات معتقدات واراء شخصية، فضلاً عن اختيار مؤشرات تحرف عملية البحث في اتجاه معين يرضي الباحث، علاوة على عرض بيانات لم يتم جمعها فعلاً وتحريف أو تغيير محتوى الاجابات أو عدم تحليلها بصورة علمية صحيحة، إلى جانب اختيار طريقة تحليل تتحيز للرأي الشخصي، فضلاً عن عرض بيانات بطريقة لا تعكس حقيقة الدراسة(٣٤).

من كل ما تم طرحه في المتن السابق يمكن أن نجمل التغيرات التي ارتبطت بتوليد المنهجيات على أساس ضبط الانحياز بالنقاط الآتية:

١. محاولة الباحثين الأنثروبولوجيين بناء منهجيات تتوافق مع تبدل الميدان وانتقاله إلى المدينة والاعتماد على المناهج ذات الآلية الأداتية كالتأويلية وتحليل المضمون والسيرة الذاتية والتاريخ الشفاهي والذاكرة على الرغم من انها مناهج وآليات قديمة إلا أنه جرى تطويرها بما يتوافق مع دراسة المجاميع الصغيرة أو الثقافات الفرعية.
٢. تغير آلية البحث الاثنوجرافي التي كانت تعتمد على منظور الباحث الاحادي إلى الثنائية البحثية بين الباحث والمبحوث، وهو ما عرف بالأثنوجرافيا الجديدة أو التأويلية المعرفية وهي في الغالب تعتمد على نصوص سردية ذات وقع أدبي.
٣. تطوير أدوات البحث الأنثروبولوجي لجعلها تتوافق مع الانتقالات الميدانية الأنثروبولوجية فالمقابلة أصبحت تصنف في سياق تحليل المضمون، والملاحظة أصحبت تصنف في سياق البحث الطولي الكيفي والإخباري أصبح يصنف على أساس الأنثروبولوجي المحلي الذي يزود الباحث بنصوص معرفية.

نتائج البحث:

١. على أساس أخلاقيات البحث، جرى تعديل وتحديث العديد من سياقات البحث في الممارسة الأثنوغرافية، مثال ذلك تفرد الباحث بالوصف الميداني والمجموعات البحثية ومنهج إعادة الدراسة.

٢. يوجد العديد من التعريفات الخاصة بالممارسة الأثنوغرافية وهي في الإجمال تتمحور حول الاشتغال الميداني، أي نزول الباحث الأنثروبولوجي إلى الميدان وممارسة الوصف والتدوين بواسطة الملاحظة والمعايشة والإخباري والمقابلة، وإن أهم صفة للممارسة الأثنوغرافية هي الشمولية والإحاطة بالظاهرة والاستمرارية في المعايشة هي لترسيخ تقبل أفراد المجتمع للباحث وبناء الثقة.

٣. إن مسألة الممارسة الأثنوغرافية ترتبط ارتباطاً وشيجاً بمتصل من النسبية يمثل صدق المعلومة ومراعاة أخلاقيات البحث بحسب الموضوع وهي اي النسبية، تنشط في مواضع معينة وتضعف أو تضمحل في مواضع أخرى، أي بحسب حساسية ونوع العملية الاجتماعية، وكذلك بحسب قوة الأدوات والمنهج الذي يرصدها ويسيرها وتدريبات الباحث وقدراته المعرفية والهدف من البحث.

٤. تعتمد الممارسة الأثنوغرافية على أن تكون غريباً عن المجتمع وأن تكون غريباً عن ثقافتك في نفس الوقت وذلك لتحقيق الموضوعية والبعد الأخلاقي.

٥. إن المنهج الأثنوغرافي والتوجهات النظرية الساندة له بقيت تمارس في سياق شخصية الباحث إذ تسمح له ذاتيته بتغيير شكل الإناء الذي يحوي المعلومة بحسب الواقعة التي يشكل هو جزء منها في مجتمع الدراسة، وهذا باعتقادنا هو السبب الأساس الذي تعد عليه الأنثربولوجيا بأنها لا تملك نظرية موحدة متكاملة الأبعاد، وإنما تمتلك اتجاهاً نظرياً منفتح يشكل المنهج رأس الحربة فيه.

٦. تعاني الممارسة الأثنوغرافية من معوقات عديدة، منها التضليل الذي يمارسه المبحوث على الباحث من باب تجميل شخصية المجتمع أو تقديم صورة مستهجنة عن المجتمع أو الإحباط أو التهكم أو أن هذا يدل على الرفض للباحث.

خاتمة:

تكرر في هذا البحث مصطلح الاثنوجرافيا بصور ومعاني متنوعة، وهي باعتقادنا قد ارتبطت بكل محاور موضوع بحثنا، فإن لكل معتقد طقس يجسد هذا المعتقد، وإن لكل ممارسة ميدانية طقس يجسد هذه الممارسة، أي أن كل موضوع أنثروبولوجي له طقس اثنوجرافي يتضمن كل الممارسات البحثية، وفي هذا البحث وجدنا أن الاثنوجرافيا قد

بنيت بصورتها الحديثة بعد أن وجهت اليها الكثير من الانتقادات بناءً ثنائية الباحث وممارساته الاثنوجرافية من ملاحظة ومقابلة واخباري ومعايشة والمبحوث بثقافته واسلوب حياته وتصوراته عن العالم الموجود فيه تشكل ثنائية أخرى على وفق عملية ضبط الانحياز لأن المبحوث يحاول أن يعكس ثقافته واسلوب حياته على وفق ما يبتغيه من الحالة التي هو فيها.

إن علاقة ضبط الانحياز جعلت الاثنوجرافيا تمر بالكثير من المراحل منها مرحلة الهاوي والمستكشف، ومرحلة المستعمر الذي يبتغي هدفا استغلاليا أو تنمويا، والمرحلة التأسيسية الاكاديمية التي من خلالها بدأت الأنثروبولوجيا تأخذ هويتها وتتبلور، والمرحلة التي ترافقت مع الانتقادات الشديدة للأثنوجرافيا والأنثروبولوجيا بأحاديتها الشديدة والتي على أساسها بدأت تحدث منهجياتها بما يتوافق مع الموضوعات التي تدرسها والحقائق التي تسجلها، والمرحلة الاخيرة هي مرحلة الاثنوجرافيا الادبية السردية التي بدأ يستعين بها الأنثروبولوجيون لمواجهة تبدل الميدان وتعقد الثقافات.

وقد بقيت الاثنوجرافيا سواء في مراحلها الأوّلى أو المتقدمة خاضعة لسلطة الباحث في الميدان حتى وإن استعان بالكثير من الأدوات أو الحالات كفريق البحث واعادة الدراسة وتدقيق البيانات وغيرها من الطرق والوسائل، تبقى خاضعة لمسألة النسبية في استحصال المعلومة وكتابتها بصور متعددة، لكون البحث الأنثروبولوجي يعتمد على الاتجاه الكيفي النوعي والكيفية بمعناها هي ممارسة بحثية لا تخضع لقانون جبري نظري خالص، وإنما تخضع لقانون كيف يستطيع الباحث أن يلاحظ ويفهم وكيف يعيش أفراد المجتمع مع الملاحظ ومن دونه.

وقد حاولت الدراسات السوسيولوجية أن تتجاوز هذه الإشكالية باعتماد الفرض الكمي الذي يعتمد على مرجعية نظرية موحدة وميدان يتابع ظاهرة مركزة ويدرسها على صعيد مجموعة تعيد إنتاج معاني الظاهرة بصور متنوعة وتضبط الانحياز أو عدم صدق المعلومة. وقد دعت موضوعة ضبط الانحياز إلى دفع الأنثروبولوجيين إلى توليد أو تحديث مناهج تتوافق مع الحالات التي تشكل ميدان ومجال دراساتهم.

المصادر

(١) مارك اوجيه، مهنة الأنثروبولوجي: المعنى والحرية، ترجمة: محمد الجويلي، سلسلة فكر، الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا، الدار العربية (ناشرون)، ٢٠١٠، ص١٩.

(٢)جولي ماكليود وريتشارد طومسون، بحث التغير الاجتماعي: المقاربات الكيفية، ترجمة: سحر توفيق، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٤، ص١٧٣.

(٣) فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث الأنثروبولوجي، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨، ص١٧٩.

(٤) طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٠، ص٦٦٣.

(٥) فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث الأنثروبولوجي، مصدر سابق، ص٥١.

(٦) د. صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص٥٩.

(٧) سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارع، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، قطر، ٢٠١٧، ص٢٠٤.

(٨) مارك اوجيه، الأنثروبولوجيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٧.

(٩) فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، مصدر سابق، ص١٨٥.

(١٠) د. صلاح قنصوة، مصدر سابق، ص٥١-٥٢.

(١١) سوتيريوس سارانتاكوس، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(١٢) سوتيروس سارانتاكوس، المصدر نفسه، ص٢٠٤-٢٠٥

(١٣) د. صلاح قنصوة، مصدر سابق، ص٦٣.

(١٤) جيامبيترو جوبو، البحث الاثنوجرافي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٣٤.

(١٥) فردريك بارث وآخرون، الأنثروبولوجيا: حقل علمي واحد واربع مدارس، ترجمة: ابو بكر احمد با قادر وايمان الوكيلي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧، ص٨٥.

(١٦) جيامبيترو جوبو، مصدر سابق، ص٢٧.

(١٧) منذر كيلاني، اختلاق الآخر: في طبيعة الخطاب الأنثروبولوجي، ترجمة: نور

الدين العلوي، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٥، ص٢٣-٢٤.

(١٨) محمد سليمان الحداد، ومحمد يوسف النجار، الأنثروبولوجيا مقدمة في علم الإنسان، المطبعة الدولية، الكويت، دون سنة، ص٢٤٣-٢٤٤.

(١٩) مارك اوجيه، الأنثروبولوجيا، مصدر سابق، ص٧٢-٧٣.

(٢٠) روبرت ايمرسون، البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الميدانية، ترجمة: هناء الجوهري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص١٢-١٣.

(٢١) د. حسيم فهيم، قصة الانثرؤبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩١، ص١٤-١٥.

(٢٢) السندرو دورانتي، الأنثروبولوجيا الالسنية، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠١٣، ص١٥٩.

(٢٣) محمد علي نور، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط٣، ١٩٨٨، ص٥٢١.

(٢٤) جولي ماكليود وريتشارد طومسون، بحث التغير الاجتماعي: المقاربات الكيفية، مصدر سابق، ص١٦٧- ١٦٨.

(٢٥) سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، ط١، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٥، ص٤٧.

(٢٦) ينظر: محمد حسن غامري، المناهج الأنثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧، ٤١-٤٣.

(٢٧) اليسندرو دورانتي، الأنثروبولوجيا الالسنية، ترجمة: فرانك درويش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٣، ص١٥٣.

(٢٨) ميلفيل، ج، هيرسكوفيتز، اسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: رياح النفاخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣، ص٩٦-٩٧.

(٢٩) ينظر: محمد حسن غامري، مصدر سابق.

(٣٠) اليسندرو دورانتي، مصدر سابق، ص١٥٥.

(٣١) اليسندرو دورانتي، مصدر سابق، ص١٥٦.

(٣٢) اليسندرو دورانتي، المصدر نفسه، ص١٦١.

(٣٣) محمد حسن غامري، مصدر سابق، ص٧٥-٧٦.

(٣٤) ينظر: سوتيروس سارانتاكوس، مصدر سابق، ص٧٥.